الإله والأديان

رحـــــلـــة بـــحـــــث

محمد البرهومي

أكاديمية الحوار الفكري

أكاديمية الحوار الفكري

الكتاب: **الإله والأديان**

المؤلف: **محمد البرهومي**

الموضوع: **أديان**

ايبين: 200201210604

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عندما تتجول في أروقة خيالك باحثا عن ذاتك بين ثنايا عقلك ووجدانك ستجد بحرا من الكلمات تصب في أنهار من الضياع تأخذك في رحلة إلى ما وراء الأبعاد الكونية، بين كواكب وشموس ومجرات وأبراج وأنوار خافتة بعيدة في وسط ظلام حالك.

ظلام لا يحوي طرقا أو سبلا بل هو السواد الذي يجعلك تائها عاجزا... ترى بصيص النور بعيدا ولا تقدر أن تصل إليه... وإن حاولت ضعت في ظلام آخر وازدادت الأنوار وظهر الجديد وغاب منها العديد.

وعندها تحاول العودة إلى أرضك والبحث في سبلها... وتجد لنفسك طريقا جديدا لم يسلكه غيرك باحثا عن التغيير وعن الحكمة المطلقة الذاتية... ولن تجد سوى طريقين حيث تبقى تائها في صحراء الجهل أو ضائعا في غابات العلوم.

وقد يرشدك نسيم البحث للمدينة والعمران... وتسير في أنهج وشوارع محاطة ببنايات شاهقة... كلما نظرت تُهت بين نوافذها وأبوابها وأدركت تعقيدها... فإما أن تبقى في هذه المتاهة الفاتنة... وإما تعود لغابة العلوم وتبحث عن ذاتك.

وحتى إن وجدت شجرة معرفة الخير والشر وتسلقت جذعها وأكلت من ثمارها فلن تجد ذاتك ولن تُلهم المعرفة... لأنك لن تأكل من الثمر المطلوب وسينطفئ شعاع أملك مع انسحاب الشمس ناحية الغروب.

هي شجرة... جذعها واحد... أغصانها اثنا عشر... في كل غصن ثلاثون فرعا يزيدون فرعا... في كل فرع سبع ورقات... تحت كل ورقة خمس ثمرات، ثلاث منها في الظل واثنتان في الشمس... إن عرفتها عرفت ذاتك.

محمد البرهومي

الفصل الأول

الوجود العقلي

رحلة البحث

هي ليست بالرحلة الفلسفية أو التراجيديا الخيالية، انما هي رحلة ذهنية، في بحور العلم والمعرفة، سفينتها الأدلة العلمية، طريقها الحجج العقلية والمنطقية، خط سيرها البحث عن الحقيقة المخفية لنصل شاطئ المعرفة اليقينية.

ستكون رحلة عقلية بحتة زادها علوم تطبيقية ومشاهدات فعلية وحقائق كونية تُهَوّن علينا مشاق الرحلة... لا مجال إلا للعقل فيها ولا مكان للأحاسيس والمشاعر والأيديولوجيات فيها.

رحلة رُبّانها المنطق، ولا شيء غير المنطق... المنطق السليم، والعقل السليم وأحكامه، أنظر وأبصر بعقلك لا بأحاسيسك الخداعة، ودع عقلك القويم يحكّم بالمنطق السليم ولا تخدع بالأعراض بل ابحث عن ذات الجوهر، ناقش الأصل ولا تناقش الفرع، وتمسك بالمتين ولا تخاز إلى الفهم السقيم والفكر العقيم... هذا المجال هو مجال عقلك، فلا تقيده بالشعور والحس.

أنظر وابحث وفكر... واستخدم عقلك لا تتبع الإيمان الأعمى... سر على طريق المعرفة باحثا عن الحكمة، ولا تكن من السائرين على حواف الطرقات باحثين عن شواذ الأمور. سر في الطريق فإن الطريق هو الذي يوصلك.

الوجـود

ما هو الوجود؟ وهل أنا موجود؟ وإذا كنت موجودا فما هو أصل وجودي؟ وما هو مصدر هذا الوجود؟ وهل سنجد الوجود؟ وهل الوجود يقتضي وجود مُوجِد ومَوجُود؟؟؟ هي أسئلة تطرحها على نفسك وأنت تبحث عن الوجود... وتبقى تتخبط بين الواو والجيم والدال ترسم آلاف الصفحات بلا نهاية... رغم أن الأمر بسيط لا يستحق كل هذا التعقيد.

تطبيقيا هناك وجُود، وذلك عرفناه بوجودنا، وكذلك بوجود موجودات أخرى، سواء أوجدناها نحن أم هي وُجدت معنا، وقانون هذا الكون أنّ كل شيء له بداية، ولكل موجود مُوجد... وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة، وبذلك إذا تدرجنا في سلم المُوجدين سنصل لطريق مسدود وسنتوه في متاهات طويلة لا نهاية لها... لذلك لا بد من تحكيم المنطق السليم.

إذا كان لكل مَوجود مُوجد ولا وُجود لشيء وجد نفسه بنفسه، فذلك يعني أن هذا المُوجد الذي أوجد هذه الموجودات له من أوجده... ولكن اذا مضينا في هذه الفرضية دون توقف لن نجد بداية للوجود وهو ما يخالف العقل والمنطق والعلم، لذلك لا بد من وجودِ مُوجد لكل المَوجودات بلا استثناء أوجدها منذ البداية... أي انه جعل لوجودها بداية، والوجود في الأصل، وأعني هنا وجودنا المادي، هو عبارة عن شيء يأخذ أبعادا في المكان، ويسير في نفس الوقت على

خط الزمان، وهذا وجود محدود بحيز زماني وحيز مكاني، ولكي يستطيع هذا المُوجد إيجاد كل هذه الموجودات يجب أن يكون مخالفا في ذاته وصفاته لما أوجده، وأول هذه الصفات هي البداية.

وقد أثبت العلم الحديث أن لهذا العالم قوة خارقة أوجدته، وهذه القوة هي متحررة من القيود الزمانية والمكانية، ولا تحدها الأبعاد ولا تتصف بما يُوصف به باقي الموجودات، أي أن الموجد الأوحد، الموجود بلا بداية، بلا مكان وبلا زمان، يختلف في ذاته وصفاته عن كل موجود في هذا الكون الشاسع.

والقوانين التي يسير بها هذا الكون، وتلك اللمسة في الموجودات، ذلك الطابع الأوحد، وتلك النقاط المشتركة، من طريق شرب الماء والتنفس والغذاء، والتركيب والجزئيات والذرات والالتحام والتحلل والتجمد وتعاقب الليل والنهار وتوالي الفصول والتأقلم... كلها بيئة طبيعية مبرمجة لحياة هذه الموجودات التي خصصها مُوجِدها بمكان صالح للعيش وبزمان يسير بنسق منظم وفق قوانين مضبوطة لتضمن الوجود، وسلامة الوجود، وكمال الوجود... والأهم من ذلك استمرارية الوجود. كل هذه النقاط وهذه الخصائص المشتركة، تدل على وجود مُخصص واحد، أراد من خلال هذا التخصيص أن يعلن ذاته، وأن نعرفه من خلال ما ميّزنا به عن غيرنا من الموجودات، أي العقل المدرك.

موجود بلا بداية

لكل موجود بداية، ومادام لوجوده بداية فهذا يعني أن له مُوجدا أوجده. لذلك فإن مُوجد كل هذه الموجودات لابد أن يكون موجودا بلا بداية، أي مخالفا لصفة كل موجود، ويكون بذلك واجب الوجود، أي وجوده مخالف لوجودنا، أزلي بلا مخصّص.

وقد ينظر العقل البشري لهذه الفكرة وكأنها غريبة أو غير منطقية، وقد يحاول أن يجد تفسيرا منطقيا فيرمي بأصل الوجود إلى الصدفة أو التطور. فإذا أخذنا بفرضية التطور، فهل يعقل أن نجد على سبيل المثال السمكة والقط والقرد والإنسان ولا نجد الحلقات الرابطة بينهم والمراحل التطورية؟ لماذا بقي القرد قردا، والإنسان إنسانا، واختفت الأمثلة التطورية الأخرى؟ هل يوجد دليل مادي محسوس اليوم على التطور؟

لا يوجد إلا البعض من الأمثلة على التأقلم، أمّا التطور فيرجع هذا لملايين السنين بدون دليل يقيني، فهو مجرد نظرية، تناسب أيديولوجيات الكثيرين، لذلك تم استعمالها واعتمادها، وذلك بسبب أن العالم المادي اليوم يحاول بشتى السبل أن يجد تفسيرا علميا لكل شيء في هذا الكون، وهو ما يستحيل يقينا.

ولكن لنأخذ على سبيل المثال السؤال المشهور من وُجد قبل الآخر الدجاجة أم البيضة؟ والإجابة المنطقية هي أن البيضة وحدها أو الدجاجة وحدها لا يمكنها أن

تجد الأخرى، بل يجب أن تتم عملية اتصال جنسي بين الديك والدجاجة، لتبيض هذه الأخيرة بيضة ملقحة، ومجرد وجود هذه البيضة لا يكفي بل يجب أن تحضنها الدجاجة وتدفئها لمدة ثلاث أسابيع، لتفقس البيضة ويخرج منها فرخ الدجاج ويجب أن تتكرر هذه العملية فجنس الفرخ لا يمكن تحديده مسبقا، بل يجب أن تبيض هذه الدجاجة عديد البيضات الملقحة وتدفئها وتفقس الى أن يتوفر فروخ من الجنسين، ويبقوا على قيد الحياة، لتتم عملية التواصل والبيض والتفقيس... الخ. السؤال الذي يطرح نفسه، من أين أتى الديك والدجاجة؟ ومن علّمهم عملية الاتصال الجنسي؟ ومن علّم الدجاجة طريقة حضن البيض؟ ومن علّم الفرخ طريقة الخروج من البيضة؟ وكيف تعلّم كل هؤلاء نبش الأرض والتغذي والبقاء على قيد الحياة ومواصلة التكاثر؟

كما قلنا سابقا كل من الدجاجة والديك وهي حيوانات صنفها العلماء من الطيور، كان لوجودها بداية، وكل من في الكون كان لوجوده بداية، وبما أن لوجوده بداية فذلك يعني أن هناك مُوجدا خصصه بالوجود، وأعطاه شكلا وخصصه بحيز زماني مكاني أي بمجرد أن وضع لوجوده بداية فهو أدخله في نطاق الزمن، فتسأل فلان متى وُلدت فيذكر لك تاريخ ميلاده، فهو تاريخ بداية وُجوده كإنسان حي، وبالتالي فهو بدايته الزمنية في المكان، وبالتالي فإن مُوجِدَه لا تنطبق عليه هذه الصفات والقوانين.

صفات الموجد المنطقية

بحسب ما تقدم ذكره، وبالاستناد على الاكتشافات العلمية الحديثة، فان لهذا العالم قوة أوجدته من العدم، وهذا لا ينكره إلا مكابر أو حامل لأيديولوجية معينة.

قيل أن الفيزيائي فرنر هيزنبرج الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء لسنة 1932 قال: "إن أول جرعة من كأس العلوم الطبيعية سوف تحوّلك إلى ملحد ولكن في قاع الكأس، ستجد الله في انتظارك..."

هذا ما يتفق عليه معظم العلماء النزهاء، وهذا ما يقر به العقل السليم، ولكن هذا الموجد الذي أوجد هذا العالم أو هذا الخالق ماهي صفاته وكيف يجب أن يكون؟

أول ما يخطر في ذهنك عندما نتحدث عن مُوجد من عدم، فهذا يعني أننا نتحدث عن قوة خارقة نتجت من قدرة عظيمة، فخالق هذا الكون يجب أن يكون قديرا، ولتوظيف هذه القدرة لإيجاد هذا الكون المترامي الأطراف لابد من مشيئة أو إرادة، أي أن الخالق القدير أراد لهذا الكون الوجود. وطبعا إيجاد هذا الكون سيكون من العدم، إذن القدرة وحدها لا تكفي بل يجب أن تتوفر الإرادة، ولتوظيف القدرة والإرادة في طريقهما الصحيح وإيجاد كون شاسع، كون منظم معجز في تركيبه، معقد في بنائه، يسير طبق قوانين منظمة خارقة للعادة، لا يمكن أن يصدر مثل هذا البناء عن قوة عادية، بل هي قدرة بإرادة صدرت عن عالِم كلي العلم، وكلي القدرة، وكلي الارادة، وهذا واضح في بنائه وفي الكون الذي

نعيش فيه، فكل شيء، من الذرة إلى المجرة، يسير طبق قانون واحد، وكل كائن حي صُمم بنفس الطريقة، قلب ومخ وأمعاء وجهاز تنفس، وحاجة للهواء وحاجة للماء، وهذا دليل على لمسة لصانع واحد.

لنأخذ مثالا، عندما ترى سيارة حتى بدون أن ترى اسمها التجاري فإنك غالبا ستعرف أنها من انتاج شركة معينة، وذلك عائد إلى أن كل شركة لها تصميم ولمسة تميزها عن الأخرى، وهذا ما نراه في المصنوعات والموجودات التي في الكون، فالكل تقريبا يحتوي نفس التركيب.

الذرة وما تحتويه، تشبه إلى حد كبير المجرة، إن لم نقل إن الذرة هي مجموعة شمسية ميكروسكوبية، والعمليات التي تحدث في الذرة والتفاعلات هي نفسها تحدث في المجموعة الشمسية، حيث أن الالكترونات تدور حول النواة، والكواكب تدور حول الشمس، والشموس تدور حول مركز المجرة، والمجرات تدور حول محور آخر... وهكذا إذا اتبعنا هذا النظام سنستنتج دون شك أن الصانع واحد، وأن هذا الكون يخضع لقانون دقيق، ويسير تحت اشراف عالم عليم كلي العلم، وقوة خارقة...

كذلك الكائنات الحية من الفصائل الواحدة، الثدييات أو الطيور أو الأسماك... كلها تحتوي نفس اللمسة. وإن دققنا النظر أكثر لوجدنا أننا نحن فيما نصنعه بأيدينا نعتمد نفس الأسلوب، فهذا عائد إلى أن هذا قانون كوني لا يمكننا الخروج عنه، وواضعه هو موجد الكون ومقرر قوانينه.

ومن يتصف بكل هذه الصفات لا بد وأن يتصف بالحياة الدائمة، أي أنه حي لا بداية ولا نهاية لحياته، وهذا معنى أنه واجب الوجود، أي أنه موجود منذ الأزل، لا يجري عليه زمان ولا يحتويه مكان، حي لا يموت أبدا.

إذا فإن القوة الموجدة هي قوة تتصف بالقدرة، العلم، الارادة، الحياة... كل صفات الكمال التي تقودنا للتفسير المنطقي الذي ينبثق منه فهم ماهية الصانع.

هي قوة خارقة للطبيعة، بل ان الطبيعة تسير طبقا لقوانين وضعها عالم قدير، فلا يمكن أن تكون هذه الطبيعة الجامدة قد وضعت قوانين ديناميكية. بل لا يمكن للجماد أن يوجد الحياة. لذلك فإن الطبيعة مقهورة بهذه القوانين الناتجة عن قوة مسيطرة. وهذه القوة، هي قوة الله عز وجل. الخالق والموجد من العدم.

علة الوجود

ماهي علة الوجود؟ إن الإجابة عن هذا السؤال متعلقة بما يعتقد طارحه، فإن كان لا يؤمن بوجود خالق فسيسير في سراديب الصدف العمياء ومتاهات النظريات الخيالية الظنية، وهو ما لا يمكن للعقل السليم أن يسلم به أصلا، ولن ترسوا سفينته على شاطئ بل ستتلقفها الأمواج وسيبقى في ضياع روحي، ولن يجد نفسه أو ذاته أو يرتقي بنفسه ليصبح إنسانا كامل الصفات الإنسانية، ويسير وفق الضوابط والقوانين العقلية. بل سيبقى رهينا وعبدا للحس ولأوثان الجاهلية التي نصبها في عقله تعصبا، وعبادة أفكار أشخاص لم يقدموا إلا آراء جوفاء بنوها على حساب أهوائهم وأنفسهم وما يوافق شهواتهم.

علة الوجود، أو سبب وجودنا هو سؤال لم تجب عنه غير الأديان، وقد يعارضنا أحدهم منكرا وجود الأديان، ولكن الإنكار العشوائي ليس بمنهج علمي، ولا يدل على سلامة العقل من التعصب، لذلك يجب أن ندقق في هذه الأديان ونفهمها من كتبها لنعرف أي من هذه الأديان صادقا، وأيها منطقي، وأيها يصلح كنظام كامل متكامل لأن يكون منهج حياة للإنسان والكون، وما هي الإشارات التي تدل على صدقه وصحته.

أما إذا لم نجد دليل صدق هذه الأديان عندها نقر أن صانع هذا العالم لم يعلن لنا سبب وجوده، وحقيقة هذه الفكرة قد تكون مستبعدة، لأن مُوجد هذا الكون

عالم، وعلمه شامل ولا بد أن يكون هناك إشارات على قصده من هذا الخلق. بل وجود هذا الكون إشارة على وجوده ودليل على صدق دينه أو المنهج أو القانون الذي أعطاه للبشر. بل إن المنطقي أن للأديان أصل، وأن خالق الكون هو واضع الدين المنظم لحياة البشر.

الكثير من الناس، سعوا لإثبات إن الأديان مجرد خرافات، لكن لماذا ظهرت هذه الأديان؟ ولماذا بحث البشر منذ بدأ الخليقة عن الإله وعبدوه؟ أو عبدوا أشياء تقربهم للإله؟ ومن أين أتت فكرة الدين؟ خاصة وأن الشعوب كانت بدائية.

كل هذه الأسئلة تدعونا إلى النظر في هذه الأديان وهذه الحقائق، فكما يقول المثل "لا وجود لدخان بدون نار"، فرحلة البحث عن الإله وعبادته هي سنة قديمة منذ العصور الغابرة، وسنجد الإجابة عنها في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

والآن لنلقي نظرة عن الأديان الأكثر انتشارا والأكثر منطقية والأديان الأساسية التي بنيت عليها أديان أخرى، كذلك سنناقش أصول هذه الأديان دون فروعها، لنعرف صحّة ومنطقية كل منها، كيلا ندخل في متاهات أخرى.

الدين ضرورة حتمية

الدين هو علاقة بين الإنسان وخالقه، ومنذ القديم وُجد الدين وعبد الناس آلهة عديدة، وذلك عائد إلى وجود أصل ثابت للدين، فالسؤال الذي يطرح نفسه، من أين جاءت فكرة الإله والدين؟ الأكيد أن لها أصلا وحقيقة. عندما نمعن النظر، نجد أن الإنسان مبرمج على عبادة إله أو قوة خارقة، ومبرمج على اتباع شخص كقدوة، يتبعه ويسير على نهجه.

وتختلف صيغة هذه العلاقة حسب نظرة الإنسان للإله. وتختلف كذلك حسب العقائد الدينية التي وجدها في محيطه أو نشأ عليها أو ورثها من أهله أو تأثر بها. لذلك يجب على الإنسان أن ينظر في نفسه ما يميزه عن غيره من المخلوقات، وهو بلا شك العقل المُدرك للحقائق، الذي يجب استخدامه لمعرفة الحق من الباطل.

والعقل السليم يسير بنا في طريق البحث في أصول الأشياء، لا في فروعها والشبهات الملقاة عليها، فاتباع الشبهات والفروع هو من سفاسف الأمور، ولا يتبعه إلا أصحاب العقول الضعيفة، أو من كانت نيته من حيث المبدأ سيئة ورديئة. لذلك سنناقش الأديان من الأصل، وسنتطرق بإيجاز للعقائد، ونحاول تجميع صورة واضحة من الأديان الأكثر انتشارا، لأن الأديان كثيرة ولن تكفينا المجلدات لمناقشة كل الأديان ولكن سنكتفي بالأكثر اتباعا لأن المنطق يحتم أنها الأقرب للعقل والأكثر سلامة وتوافقا مع المنهج الحق.

إن أي آلة يتم صنعها لابد من وجود دليل استعمال لهذه الآلة لنحسن استعمالها وليتم استعمال كل خصائصها على أكمل وجه. فهذا قانون كوني منطقي لا غبار عليه. كذلك الإنسان هو آلة معقدة الصنع معجزة لا مثيل لها، وخصائص هذه الآلة المعقدة تكاد تكون لا نهائية. لذلك من باب أولى أن يكون لهذا الإنسان دليل استعمال أو منهج حياة يسير به كي ينجح في هذه السفرة القصيرة من الولادة إلى الموت.

فعمر الإنسان مقارنة بعمر الكون الذي يعد بملايين بل بمليارات السنين يساوي صفر تقريبا، فهو لا شيء. وهذا الفارق في العمر يجعلنا نفكر ما السر الكامن وراء هذه الفجوة. بل هي هوّة عميقة لا حدود لها.

إضافة لهذا الكون الواسع الذي لا نستطيع إيجاد حدود لبدايته أو نهايته، كون شاسع مترامي الأطراف بُني من مليارات المجرات التي تحوي مليارات النجوم والمجموعات الشمسية. كواكب وأقمار وفراغ شاسع ولا حدود لكل هذا ولا تفاسير يمكنها الإجابة عن كل هذه التساؤلات.

بل إن الكون برمته يتحدى البشر وقوتهم بعظمته وحياتهم بطول عمره، وذكاءهم بأسراره التي لا تنتهي وألغازه التي لم تُفك معانيها.

وإذا عدنا بالنظر إلى الوراء ونظرنا في الميكروسكوبيات والجزيئات لوجدنا أنفسنا عاجزين مرة أخرى أمام عالم أعظم من عالمنا يسير طبق قوانين وضوابط وكل فرد فيه يقوم بمهمته على أكمل وجه وبكل تفانٍ وحرفية.

أليس هذا دافعا، لنفتح الرسالة ونقرأ ذلك النص البديع الذي كتب بحروف نورانية، بأن كل من في الكون يسير طبقا لقوانين وضوابط. وأما الإنسان فهو عاقل حر مخير لاتباع هذه الضوابط والقوانين التي تسيّر حركته وحياته ألا وهي الدين.

أليس هذا المقصود من كل هذه العظمة في المخلوقات والمصنوعات والنظام الذي تسير عليه، أليست هذه الرسالة التي جاء بها الرسل والأنبياء بأن الله جعل الإنسان مخيّرا وكرّمه بذلك بأن جعله عاقلا مدركا.

هذا ما يكشفه لنا ذلك النص الغائب من سطور الكون العريضة، التي توحي للوهلة الأولى بعالم سرّي بعيد منّا، ومحجوب عنا، ولكن هذا العالم ما هو إلا علامات وكلمات واضحة، نراها ونفهمها إذا أمعنّا فيها النظر.

الفصل الثاني

الوجود العلمي والطبيعي

الطبيعة البشرية

إن المجتمع الإنساني هو مجتمع كغيره من المجتمعات الحيوانية، بل إن التعريف المنطقي للإنسان هو أنه حيوان ناطق. والإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتميز بجهاز النطق، إضافة إلى أنه الحيوان الوحيد العاقل المدرك لحقيقة ماهية الأشياء.

لذلك فإن الصورة البدائية التي يعرضها العلماء هي ذلك الحيوان الذي يغطي عورته بقماش ويعيش في الكهوف... وهي صورة لا يمكن أن نصدقها كما هي، لأن الذي أدرك أنه لا بد له من ستر عورته، والمبيت في أماكن مغلقة، لابد وأنه كان يتكلم ويكتب ويقرأ ويتعلم ويبحث ويكتشف ويقوم بما يقوم به الإنسان المعاصر، وذلك حسب ما يتوفر له من إمكانيات. وقد قيل إن الحضارة الفرعونية هي أصل كل الحضارات، ودليل على كلامي، هي حضارة وصلت لمستوى من التطور والتقدم يناقض الصورة التي رسمها لنا من يحاول رسم فكرة أن الانسان تطور من حيوان بري أو من سمكة في أذهان الآخرين.

لذلك فان المجتمع الانساني هو مجتمع متحضر متمدن بطبيعته لا يقبل الحيوانية البهيمية وانما يقبل الرقي والبناء. وكما ذكرنا سابقا أن الحضارة الفرعونية وما بعدها من الحضارات خير شاهد على مدنية وإدراك هذا الكائن.

أما تلك الصورة الحيوانية التي غُرست في أذهاننا فهي صورة وُجدت قديما وتوجد حديثا... هي صورة تلك القبائل التي مازالت تعيش في جاهلية محضة، وأبت إلا

أن تبقى في تلك الجاهلية وفضّلت أن تعيش في قبائل عيشة تقليدية بعيدة عن التطور وصخب المدن وأنفاق الحداثة المظلمة التي تسلبهم متعة حياتهم الطبيعية في الغابات والسباسب، بين أحضان الطبيعة.

ومن المفارقات في هذا العالم أنك تجد للعديد من هذه القبائل أسلحة نارية، وربما سيارات، وقد تجد أيضا مراكب بمحركات. يستخدمون كل هذه المعدات في القرصنة والسرقة ودعنا نقول في جني الأموال وتوفير الغذاء لباقي أفراد القبيلة، وهذه الحالات والصور منتشرة في افريقيا بصفة ملحوظة.

ما يلفت النظر حقا، أن الانسان لم يكن بدائيا بطبعه بل إن الظروف القاهرة والقاسية جعلت منه ذلك الشخص الذي يغطي نفسه بجلد حيوان ويحمل سلاح ناري أوتوماتيكي ويقود سيارة رباعية الدفع في كثبان الرمل قاطعا الطريق على التجار.

فالإنسان لم يتطور من حيوان، فهو لا يشبه الحيوان، لا طبيعة ولا طبعا، بل إن الحيوانات في حد ذاتها لا تشبه بعضها البعض، بل إن الإنسان كان منذ البداية إنسانا ولم يكن غير الإنسان.

لحد هذه الساعة، وهذا اليوم لم يوفر لنا دعاة العلم دليلا قطعيا، أو شاهدا على هذه النظرية الفاشلة، نظرية النشوء والارتقاء، بل إن الطبيعة ذاتها تكذب هذه النظرية في كل دقيقة تمر، بما نجده من تآلف بين الحيوانات، واختلاف طبائعهم وغرائزهم، واكتشاف أحافير لحيوانات تبين لنا عدم اختلافها عما كانت عليه منذ

ملايين السنين. بل لحد هذا اليوم لم نجد ولو دليلا واحدا، ولا أحفورا واحدا لحيوان في طور من أطوار التطور المزعوم.

لننظر مثلا في الإنسان والقرد، كم من المراحل مرت حتى أصبح القرد إنسانا؟ وأين هي هذه المراحل، لماذا لم تبق هذه الحيوانات على قيد الحياة؟ ولماذا لم يختلف القرد الذي تطور ليصبح إنسانا عاقلا مدركا؟ لماذا نجد الأرنب ونجد الأسد الذي يخالف ما أتت به هذه النظرية من أن قانون الكون هو الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأصلح، وهي ما تسمى بالجدلية المادية؟

إن نظرنا بعمق في الطبيعة البشرية والطبيعة الحيوانية، ثم النظر في طبيعة كل نوع من الحيوانات سنكتشف أن العلاقة بينهم ليست إلا أنهم مخلوقات مصممة من صانع واحد لا غير. وهذا المصدر هو الخالق، وإن ما يريدون ارجاعه للتطور ما هو الا تأقلم طبيعي لا يفسد للود قضية.

وما زلنا نتكلم ونجادل اليوم ونتعصب تعصبا أعمى لنظرية التطور، وتبقى مجرد نظرية ولم يجرؤ أحد على أن يدّعي انها قانون التطور أو حقيقة التطور، بل تبقى نظرية لم تُثبت ولن تثبت اطلاقا.

الإيمان الأعمى

معظم الناس يتعصبون لآرائهم بمجرد الاقتناع بها، أو لمجرد أن أحدهم سيطر على نفوسهم وعلى أفكارهم، فيتبعون ما سمعوه أو وجدوه، اتباعا أعمى دون أن يستخدموا عقولهم في الاستقراء والتحليل. ولا شك ان هذا المرض متفشي في المجتمعات. ويصير هذا الشخص عبدا لأوثان جامدة بناها في فكره وحدد لنفسه اطارا ضيقا سجن نفسه فيه.

ومن الذين أخصهم بهذا الحديث من خرج من دينه لمجرد تعرضه لمجموعة من الشبهات، أو من أنكر شيئا أو حتى اقتنع بشيء لمجرد أن أحدهم شبّه عليه أو استهزأ بمعتقده. وهؤلاء من الذين لا عقل لهم وليسوا أصحاب فكر حر، فهم عبيد لإيمان أعمى مبني على باطل وعلى فروع سخيفة.

أما النقاش العلمي والايمان اليقيني يكون مبنيا على أصول وحجج بينة وأدلة واضحة. وللأسف في كل حواراتي مع الملحدين تقريبا لم أجد ملحدا بعلم أو ألحد بعد بحث يقيني، بل كلهم ألحدوا بشبهات وتعصبوا لأفكار دون التثبت من مصدرها وصحتها، بل أصبحوا من المدافعين عنها أكثر من أصحابها الذين عرضوها كنظرية.

الفلسفة المادية

لطالما كان للمادية تأثيرا في تغيير المفاهيم ونظرة الناس للكون والطبيعة وما وراء الطبيعة. فأصبحوا يؤمنون بالمادة الجامدة الميتة كأنها هي من أوجد الحياة والروح الحية.

وللسائل أن يسأل كيف يمكن لمادة جامدة ميتة أن تنتج حياة وروحا؟ أليس من المعقول أن تنتج الحياة والروح تلك المادة؟ فنواميس الكون وقوانينه البينة توضح لنا كيف أن الشجرة الحية تنتج ثمارا ناضجة لا تصلح إلا للأكل، والإنسان الحي بمقدوره أن يصنع ما يشاء حسب قدرته، وهو تلك الروح الحية، فلا ينتج لنا إلا جمادات، فلم أسمع يوما عن شيئين جامدين من المادة تزاوجا وأنجبا لنا شيئا آخر، كبر وترعرع ودبت فيه الحياة وهو مادة جامدة.

وأصبحت الفلسفة المادية هي أصل الكون والتكوين وضاعت في سراديبها المفاهيم وسيطرت على جميع العلوم والأديان فغاص العالم في جماد وظلام حالك بعيدا عن المعاني الروحية والأسرار الغيبية والمفاهيم الخارقة لطبيعة الكون.

ونتيجة لذلك تأثرت عديد الأديان بهذه الفلسفة وعديد العلوم، فانقسم العالم لمصدق متعصب لجماد المادة الميتة وآخرين وجدوا لأنفسهم طريقا في الأديان الصوفية والغنوصية فأصبحت حياتهم روحية بحتة أناروا بها طريقهم بصفة نسبية في نفق المادية المظلم.

ولدت الفلسفة المادية مع الحضارة اليونانية، وتقوم الفلسفة المادية على أربعة أركان أساسية:

1. الاستخفاف بالإله والعبادة بالغناء والرقص لا بالخشوع

2. الإيمان بالمحسوسات

3. التفاني في توفير الراحة والسعي وراء الملذات

4. التعصب للوطن والإيمان بالوطنية

كل هذه الأركان كان لها تأثير جذري في تغيير مفاهيم العالم والسير نحو منحدر مادي قاد العالم لتفسخ أخلاقي وتعصب قَبَلي للدوائر الضيقة من المجتمعات والدول وحتى المدن إضافة لاستهزائهم بالإله، فأحلوا لأنفسهم كل ما اشتهوا من ملذات على حساب أي شيء يعترض طريقهم، حتى الإنسانية وحقوق الانسان وخاصة المستضعفين.

وهذا الطريق المادي البحت قاد العديد إلى الإلحاد وذلك عائد إلى إيمانهم الأعمى بالمحسوسات، لذلك تأثرت عديد الديانات بذلك فنصبت للإله أصناما وأشكالا، أو وصفته بأنه تجسد في البشر، إلى غير ذلك من المعتقدات السخيفة التي توحي بأنها تأثرت تأثرا أعمى بالمادية، وأصبحت رهينة لها ولا تؤمن إلا بعالم المحسوسات وضاع عالم الغيب. ذلك العالم الذي يحوي جزءا منا، في ضحكنا، وفي فرحنا وحزننا، وحتى في تقلب مزاجنا، وأحداث يومنا القادم، والأفكار والخواطر التي نُلهم بها من حين لآخر دون تفسير لها، بل حتى العلم يقف عاجزا أمام هذه الغيبيات التي تعيش فينا.

إن إنكار الفلسفة المادية لعالم الغيب هو الدمار الشامل لهذا العالم من الناحية الأخلاقية من جهة، ومن الناحية الروحية من جهة أخرى... فقد أصبح مفهوم الحياة منحصرا في حيز زمني ضيق نعبد فيه شهواتنا ونحاول قدر المستطاع المحافظة على وجودنا وسلامة وجودنا على حساب الآخرين، دون اعتبار لقوانين هذا الكون ودون التفكر في وجود إله يسيّر هذا الكون بإمكانه رد حق أخذناه ظلما ممن هم أضعف منا.

كما ساهمت الفلسفة المادية في إحياء العديد من الأديان الوثنية في حلة جديدة وثوب أبيض يوحي بأنه دين من الخالق. وذلك عائد للكبت الروحي الذي يؤدي إما للانهزام العقلي والتعصب أو إلى عالم الجريمة والشهوات أو إلى العودة للبحث عن المعاني الروحية المطلقة ولكن ببواقي عقائد مادية قوامها المحسوسات، وتخفي في طياتها البحث عن الروحانيات.

الفصل الثالث

الأديان والمذاهب الكبرى

اللاأدرية

يعتبر البعض أن "الا أدريين" من الملحدين، لكن في الحقيقة هم من الأديان التي تندرج ضمن بحثنا هذا، فهم يؤمنون بوجود خالق وإن أنكروه في الظاهر، ووجود الخالق حقيقة يقينية، وكذلك الدين هو ضرورة حتمية، فهو علاقة بين المخلوق وخالقه. وتحصنهم بهذا المذهب تبرير لتخبط واضطراب أفكارهم.

إن فكرة وجود خالق لم يُعلن لنا عن ذاته شبيهة بإنتاج شركة مجهولة لجهاز معقد ولم تعطنا دليلا لاستعماله. فالدين هو دليل الاستعمال الذي أعطانا إياه الخالق، وهذه هي سنة الخالق في الكون، نراها في جميع المصنوعات، وكما تقدم معنا فإن الخالق عالم حكيم، فلا يستقيم في العقل أن يهمل هذا الخالق الحكيم كلي العلم خلقه، أو أن يخلقه بلا قصد وبدون غاية.

الكون يسير بقانون موحد من الذرة إلى المجرة في تناسق معجز. وهذه القوانين هي من وضع الصانع وهي بلا شك دليل على وجوده، وفكرة عدم اعلان ذاته هي فكرة مستبعدة جدا لعديد الأسباب:

أولا لأن هذه الفكرة هي فكرة مادية بحتة، ولا يمكن الاعتماد الكلي على الأفكار المادية البحتة لأنها أفكار جامدة لا تعطينا اجابات واضحة وشافية وكافية، ولو نظرنا بعين مادية مطلقة لما أقررنا بوجود خالق، بالرغم من أن وجود الخالق دلت عليه

المادة ذاتها. وذلك عائد أن المادية لا تؤمن إلا بالمشاهدة والحس، فالجامد لا يمكن أن ينتج حياة.

ثانيا قد سبق وأن توصلنا إلى أن خالق هذا الكون كامل العلم، فكيف فاته تنظيم حياة مخلوقاته وارشادهم وتسخير دليل استعمال يخدم مصلحتهم ويدعم وجودهم ويعلن من خلاله ذاته، ففي هذا مصلحة مخلوقاته الذين أوجدهم. فعدم اعلانه لذاته وقصده لهذه المخلوقات يُولّد الفوضى والهمجية.

ثالثا هذا الخالق الذي خصصنا بالوجود هل فاته أن الكثيرين سيعيشون مأساة وكثيرين سيَظلمون وآخرين سُيظلمون. هل هذا العليم كامل العلم يفتقر للعدل والحكمة؟ طبعا هذا لا يجوز فقد أعطانا هذه الصفات لذلك وبلا شك فهو كامل العدل وكامل الحكمة وما عدلنا وحكمتنا إلا فيض من عدله وحكمته.

الأدلة كثيرة جدا، فيمكننا الحديث عن القيم والمبادئ والأخلاق والعلاقات الاجتماعية إلى ما لا نهاية، وستجد وبدون تأكيد أن فكرة الخالق الذي لا نعرف ماهيته باطلة، بالرغم من أن هناك من يقول إن الخَلق غلب الخالق، فهو مثال أشبه بأن المصنوع فاق ذكاء الصانع، وهي فكرة غير منطقية البتة.

إن الخالق خصصنا بالوجود، وجَبَلنا على استمرار الوجود بما وضعه فينا من شهوات وغرائز، فهل فاته أن يضع لنا قوانين تنظم وتعلن لنا الخطأ من الصواب ليضمن لنا سلامة وجودنا واستمرارنا والمحافظة على أنفسنا؟

أديان الهند وآسيا

الهندوسية والبوذية هما تقريبا من الأديان الأكثر انتشارا في الهند وآسيا، رغم وجود أديان أخرى لكنها ترجع في الأصل إلى هذه الأديان كفرق تفرعت منها.

تقوم معظم طقوس هذه الديانات على الوثنية واتباع أوامر الكهان لا على اتباع ما جاءت به كتب أو تعاليم هذه الديانات.

فمثلا البوذية تنقسم الى مجموعة مؤمنة بالله ومجموعة أخرى لا تؤمن بالله، وكل فرقة تدعي أنها على المنهج الحق لبوذا. فهما فرقتان رئيسيتان، وتناقضهما دليل على بطلانهما من الأساس، فهو دليل واضح على ضياع تعاليم بوذا الأصلية أو تحريفها، بغض النظر إن كان الأخير على حق أم لا.

كذلك الهندوسية اتخذت للإله الذي تعبده أصناما وتماثيلا، وبنى كُهانها هذا الدين على أساطير مخالفة لما جاء في كتب "**الفيدا**" وكتب التعاليم الدينية.

هذه الديانات هي ديانات روحية بالأساس ولا تصلح للتطبيق اليومي لكامل أركان الحياة، كما تقوم على أساطير وخرافات عديدة لا علاقة لها بالواقع أو العلم. بل نجد في كتب "**الفيدا**" بشارة بمن سيأتي ليخلص الناس ويقيم العدل على الأرض.

أي إن هذه الديانة جاءت لفترة معينة وأشخاص معينين وليست عامة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأديان ليست أديان دعوة، بل هي أديان خاصة بأهلها

وبدول آسيا خاصة. واتباع الغرب لهذه الديانات لوجود الجانب الروحي فيها نظرا لحياتهم المادية الجامدة.

فهي أديان روحية بحتة تقوم على طقوس قريبة جدا من الطقوس الصوفية مثل الزهد والروحانيات وقهر النفس والبحث عن الذات وإخراج الطاقة الداخلية التي لا تخرج إلا بالمجاهدة.

وطقوس وتعاليم هذه الأديان لا يمكن لأي إنسان عادي احتمالها أو الصبر على شدتها لذلك هي أديان روحانية بحتة تدعوا إلى ترك الدنيا والعيش في ركن مظلم لا للتأمل في عظمة هذا الكون والسير على طريق البناء والإبداع وتقديم الفائدة للبشرية، وإنما لقهر النفس وبلوغ مراتب روحية لا تنفع البشرية.

ولو أن البشر اعتنقوا هذه الديانة، وانتشرت في كافة أنحاء الأرض، لانتهت البشرية في بضع عقود وفي فترة زمنية وجيزة أظنها لا تتجاوز القرن.

اليهودية

اليهودية هي ديانة عرقية في الأساس، تقتصر كذلك على مجموعة معينة من الناس. تُورث الديانة اليهودية من الأم، أي لا يمكن للشخص أن يكون يهوديا إلا إذا كانت أمه يهودية، وإلا سيتبع عدة مراحل ليصبح يهوديا. وحتى إن أصبح يهوديا فإنه سيبقى يهوديا في درجة أدنى من اليهود الآخرين.

فهذه الديانة تقوم في الأساس على التمييز وتخصيص شعب على باقي الشعوب وهذا ما لا يمكن أن يقبله العقل البتة. وجراء ذلك تجد في كتبهم التاريخية خاصة، اغتصابا ومجازرا وتطهيرا عرقيا لشتى المخالفين والمعارضين.

إضافة لذلك نجد في كتبهم أخبارا وتبشيرا بأنبياء سيأتون في أزمنة قادمة لتحرير البشرية وتخليصهم، بالإضافة إلى عديد النبوات التي فسرتها كل فرقة تفسيرا يختلف عن الأخرى. وفسرتها أديان أخرى تفسيرا يختلف تماما عما فسره غيرهم من الفرق اليهودية أو الأديان الأخرى.

يعتمد اليهود على كتاب "التوراة" ويسمى كذلك "التناخ" أو كتاب الشريعة وهو كتاب سماوي حسب ما يعرف به، ويسمى كذلك العهد القديم، وتختلف بعض الفرق في الأخذ بأسفاره فليست كلها مقبولة لديهم. كتاب التوراة هو عبارة عن مجموعة كتب تسمى أسفارا. يضم هذا الكتاب خمس أسفار أولى هي ما يسمى أسفار موسى الخمسة، ويمكننا أيضا تسميتها بالتوراة.

نفتقر اليوم للنسخة الأولى، أي النسخة الأصلية من التوراة، بل إن أقدم نسخة هي بعد ظهور هذا الكتاب بألف سنة تقريبا أو أكثر. وتضم التوراة أو كتاب العهد القديم أيضا كتب لأنبياء اليهود مثل إشعياء، ميخا، دانيال، سليمان... ويضم أيضا كتاب المزامير أو كما سماه القرآن الزبور، وهو كتاب أغاني وأشعار ينسب للنبي داود. ويوجد كتب أخرى غير معترف بها تصنف كتب تاريخية لا ككتب مقدسة، مثل رؤيا إبراهيم وسفر ياشر وأسفار المكابين، والتسمية العلمية لهذه الكتب هي "كتب أبوكريفية".

إضافة لكتاب التلمود ويسمى "المشنى" وهو عبارة عن أقوال الحاخامات ورجال الدين. والتلمود هو الميراث الشفوي لنبي اليهود "موسى" بحسب ما يقال، ويوجد التلمود البابلي والتلمود السامري، ويعتبر التلمود مصدر التشريع الأول لدى اليهود.

يحتوي التلمود على ستة أقسام وهي: الزروع (زراعيم)، الأعياد (موعيد)، النساء (ناشيم)، الأضرار (نزيقيم)، المقدسات (قداشيم)، الطهارات (طهاروت).

الديانة اليهودية كما ذكرنا سابقا هي ديانة عرقية خاصة بشعب معين يرى أنه أفضل من باقي الشعوب، بل إن باقي الشعوب خُلقت لخدمته، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وباقي الأمم وُجدت لخدمتهم بصفتهم هم الأسياد. لذلك فإن هذا الدين لا يمكن أن يكون دين الحق.

بالإضافة إلى ذلك فان الشريعة اليهودية هي شريعة صعبة التطبيق، بل إنها شريعة في بعض أركانها توحي بأنها عقاب وعذاب، في حين أن الدين هو منهج حياة ليُسّهل الحياة ويخرج الإنسان من الأزقة المظلمة والشدائد.

وظهر في العصر الجديد فرق قومية يهودية تحاول إحياء تاريخ الأساطير والقصص التي ذكرت في كتبهم، فهم يروا أن أرض فلسطين هي أرضهم ولابد من أن يطردوا أي متسلط عليها وهي مكانهم الطبيعي، وهم يؤمنوا بأنه لابد لهم أن يعيشوا في معزل عن بقية العالم وعدم الاختلاط بباقي الأمم.

ونلاحظ كل هذا عندما نرى كيف يعيشوا في الدول الأخرى في أحياء وأماكن منفردة وفي معزل عن باقي الناس... كل هذا يجعلنا نتأكد بأن اليهودية هي عرقية وقومية أكثر منها ديانة لكل الناس والبشرية.

المسيحية

الديانة المسيحية في الأصل هي استمرار للديانة اليهودية، لكنها ليست هي الديانة اليهودية في أي شكل من أشكالها أو عباداتها.

تُنسب المسيحية ليسوع المسيح، الذي يعتقد معتنقي هذه الديانة أنه الإله الذي تجسد وأتى على هذه الارض ليموت كفّارة عن خطايا البشرية، لأن كل البشر ورثوا الخطية التي دخلت إلى هذا العالم عن طريق رجل واحد هو آدم وزوجته.

بالرغم من أن هذه هي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية إلا أن يسوع المسيح الذي تنسب له هذه الديانة لم يتكلم عن هذا الموضوع البتة ولم يوضحه إطلاقا، بل الذي قال بهذه العقيدة هو "شاول الطرسوسي" الذي سمى نفسه "بولس" وهو الذي كتب ثلثي أسفار الكتاب المقدس للمسيحيين.

حتى ما جاء في بعض الأناجيل من تلميح يرُجح علماء اللاهوت وعلماء التاريخ أنه كتب بعد اختراق شاول الطرسوسي للجماعات المسيحية ودس أفكاره في هذه المجموعات.

من جهة أخرى، فإن الديانة المسيحية هي امتداد للديانة اليهودية، لذلك يعتبر المسيحيين أن الله حفظ شعب اسرائيل وحافظ على نقاوة نسلهم وجعلهم شعبا مختارا لأنه سيأتي منهم المخلص، فهم يدعمون تاريخ اليهود الدموي ويروا أنه لابد

من حدوث كل تلك الحروب والمجازر ليبقى نسل اليهود نقيا لحين مجيء المسيح، في حين أن في هذا النسل زناة ومخالفين لشرع الله.

وهذه الفكرة والعقيدة تختلف تماما على ما في العقائد اليهودية وكتب التلمود، بل إن اليهود يعتبرون أن يسوع هو ابن زنى حسب ادعائهم ولكن المسيحيين يعتقدون أنه وُلد من عذراء دون أن يمسسها رجل، بالإضافة إلى أن اليهود كانوا ينتظرون المخلص ليكون ملكا ويرجع إليهم دولتهم لكنه أتى إليهم نبي يدعوا للسلام والمحبة.

كلتا الديانتين تشترك في مصدر واحد، وهو العهد القديم، وكل فرقة منهم تحاول تفسيره وتأويل ما فيه بحسب ما يروق لها، وهذا يجعل الإنسان المتأمل والباحث يعيد النظر والتدقيق، في أصل هاتين الديانتين ومصادرها، فهي أمور تدعوا للشك والريبة.

تعتمد الديانة المسيحية على كتاب التوراة أو ما يسمى العهد القديم، وكتاب الانجيل أو ما يسمى العهد الجديد. وهاذان الكتابان هما مصدر التشريع ظاهرا، لكن يؤمن المسيحيون أن الانجيل قد نسخ الشريعة القديمة أو الناموس الموسوي.

بينما في دراستنا وبحثنا وقراءتنا للإنجيل سنجد أن المؤسس الحقيقي لهذه الديانة وعقائدها ليس يسوع المسيح، بل هو بولس... والأهم من كل هذا سنجد أن العقائد التي يؤمن المسيحيون بها اليوم وحتى كتاب العهد الجديد أو كما يسمى الإنجيل جُمع بعد أربعة قرون من مجيء يسوع المسيح. أما بالنسبة للإنجيل مصدر التشريع الأول للديانة المسيحية، فهو يتكون من مجموعة أسفار كما في التوراة، تنقسم إلى أربع أسفار تسمى أناجيل، وهي روايات لأشخاص عن حياة يسوع المسيح،

تختلف من راو لآخر، لكن اثنين فقط من هؤلاء الرواة عاشوا مع يسوع المسيح، وبالرغم من ذلك لم يشهدوا كل الحوادث بل الأدهى والأمر أن شهاداتهم متخالفة ومضطربة في روايتهم لتلك الحوادث وتفاصيلها.

كُتب أول إنجيل بعد حادثة الصلب بسنوات طوال، ثم كتاب الأعمال الذي يروي كيف قام أصحاب يسوع المسيح بالبشارة ونشر الديانة، ثم رسائل بولس والبعض من أصحاب يسوع المسيح للجماعات المسيحية، وأخير سفر الرؤيا وهو عبارة عن حلم لأحد أصحاب يسوع المسيح ادعى أنه وحي. توجد العديد من الأسفار الأخرى التي لا تعتمدها الكنيسة وتعتبرها كتب منحولة أو أبوكريفية ولا يمكن جعلها من الكتاب المقدس، إما لجهل كاتبها، مع العلم أن أغلب كتبة الأسفار نجهلهم، وإما لعدم تناسقها مع باقي الأسفار، بالرغم من أن كل الأسفار والتي هي في الأساس رسائل بولس التي تمثل ثلثي الكتاب، غير متناسقة وغير متوافقة.

تنقسم المسيحية كغيرها من الأديان الى عدة فرق، لكن تختلف معظم هذه الفرق في أصول العقيدة، فمثلا من أهم الاختلافات هو حول طبيعة يسوع المسيح، هل هو مجرد نبي، أم هو ابن الله الذي حلت فيه روح الإله، أم هو الإله المتجسد، وإذا كان إله، هل هو بطبيعة واحدة إلهية وطبيعة بشرية منفصلة، أم هو بطبيعتين إلهية وبشرية؟

تعتبر الديانة المسيحية من أكثر الأديان اعتناقا لكنها في تراجع ملحوظ. ويؤمن المسيحيون بما يسمى قانون الإيمان الرسولي، وبحسبه يتم تفسير نصوص الكتاب وهو المرجع الأول في العقيدة ونصه الآتي:

"نؤمن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى.

نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء. هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي. تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء. نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين."

هذا هو قانون الإيمان الذي أقره آباء الكنيسة وحاولوا أن يثبتوه بكتاب الإنجيل الذي بين أيديهم لذلك نقول إن الاختلاف بين الديانتين يجعلنا نضع إحدى الفرضيتين التاليتين، إما أن يكون دين اليهود قد حُرِّف وإما أن دين المسيحيين قد حُرِّف، وفي الحالتين فان الديانتين باطلتين، فإذا كانت اليهودية محرفة فقد بنيت المسيحية على باطل، وفي هذه الحالة فإن يسوع لا علاقة له بالتوراة والشريعة وكل ما حدث هو مجرد حادث استغله "بولس" وبعض اليهود ليفتروا الأكاذيب وليؤسسوا دين مبني على خرافات ومعجزات وهمية. وإذا كانت المسيحية محرفة فاعترافها باليهودية يدل على أنها باطلة أنجبت لنا دين باطل، لأن المسيحيين في هذه

الحالة يحرفون المفهوم الأصلي للتوراة، ويسوع ليس هو الملك المنتظر الذي سيجلس على عرش داود.

يعتقد المسيحيون أن الإله هو واحد في ثلاثة أقانيم، أي أن الله مركب من ثلاثة أشخاص لكنهم يمثلون الله في نفس الوقت، وكل أقنوم من هؤلاء منفرد بذاته، وهذه الأقانيم هي الآب، والابن وهو يسوع، والروح القدس وهي قوة الله. وهذه العقيدة لا يمكن استيعابها عقلا ولا تنطبق مع الحقائق العلمية.

الإســلام

يُعتبر الإسلام دين التوحيد الخالص، أي أن الإله ليس بجسم ولا صورة، وليس إله مركب من أقانيم كما يعتقد المسيحيون. كما يعتقد معتنقيه أن رسول الإسلام هو آخر الأنبياء والرسل. يؤمن المسلمون بالأديان التي سبقت من يهودية ومسيحية لكن مع الإيمان بإن كتب التوراة والانجيل هي كتب محرفة طُمس فيها التبشير برسول الإسلام وحُرّفت الشرائع والعقائد الأصلية.

مصادر تشريع الإسلام هي القرآن والسنة حيث يؤمن المسلمون أن دينهم هو دين كامل لا خلل فيه ولا نقص بل هو منهج حياة من الله لكل الناس في كل زمان ومكان.

يختلف الإسلام مع باقي الأديان فيما حققه من ثورة سياسية واقتصادية وعلمية مبنية على نصوصه المقدسة من القرآن والسنة حيث أنه في فترة محدودة أصبحت الحضارة الإسلامية أسمى الحضارات وأكثرها رقيا.

ينقسم الإسلام إلى ثلاث أركان أو مراحل إيمانية وهي:

1. الإسلام وأركانه خمس وهي:

أ. الشهادتان وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله

ب. الصلاة

ج. الصوم

د. الزكاة

ه. الحج (لمن استطاع إليه سبيلا)

2. الإيمان وأركانه ستة وهي:

أ. الإيمان بالله

ب. الإيمان بالملائكة

ج. الإيمان بالرسل الذين جاؤوا قبل نبي الإسلام

د. الإيمان بالكتب السماوية

ه. الإيمان باليوم الآخر وهو يوم الحساب ويسمى يوم القيامة

و. الإيمان بأن القدر خيره وشره من الله

3. الإحسان وهو متمثل في:

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم يكن تراه فهو يراك.

يعتمد الإسلام على العلم في عقائده وتبليغه وكذلك في تبيان صدقه وحقيقته وذلك نراه جليا فيما يسمى الإعجاز العلمي حيث أن المسلمين دائما ما يستعرضون نصوصهم المقدسة سواء من القرآن أو السنة، تحتوي منذ أكثر من 1400 سنة على حقائق علمية أو كونية اكتشفت في العصر الحديث.

بالإضافة لذلك يعتبر الإسلام من الأديان التي لا مكان فيها للعنصرية حيث أن أئمة الإسلام وعلماء هذا الدين من مختلف الأعراق والجنسيات بالرغم من أن اللغة الرسمية لهذا الدين هي اللغة العربية وذلك طبقا للقاعدة الإسلامية التي قالها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى".

وقد شهد التاريخ أن المسلمين كانوا أرحم الجيوش وأعدل الحكام في كل أصقاع الأرض حتى إن حروبهم كانت مثالية، وكان هدفها تخليص الشعوب المضطهدة في الأساس ونشر دين الإسلام في كل مكان دون غصب على اعتناقه، خلافا للدين المسيحي الذي كان يجبر الناس على اعتناقه عنوة، ومثال ذلك محاكم التفتيش. والدليل ما حصل في إسبانيا، بعد أن تم إعلان قانون حرية الأديان، مئات العائلات أعلنت أنها كانت تظهر اعتناق الديانة المسيحية وفي الأصل تبطن دين آخر سواء كان اليهودية أو الإسلام، وأخفوه خوفا من بطش الكنيسة.

يؤمن المسلمون أن الاسلام دين عالمي لكل الناس وأنه دين العقل والفطرة والعلم، ويعتبر الاسلام الدين الأكثر والأسرع انتشارا في العصر الحديث لما فيه من مبادئ سامية في الوقت الذي نرى فيه أن جميع الجهات ووسائل الاعلام تحارب وتشوه صورة هذا الدين بالافتراء أو بصنع فرق أو جماعات اجرامية تنسب نفسها للإسلام.

الفصل الرابع

الأديان والمذاهب المعاصرة

الأديان الحديثة

الأديان الحديثة أو الأديان الوضعية هي أديان مقتبسة من أديان أساسية. مثلا شهود يهوه والمارونية المقتبسة من الديانة المسيحية أو القاديانية والبهائية المقتبسة من الإسلام وغيرهم كثير.

هذه الأديان وضعها أناس سواء بدعم جهة سياسية أو لأغراض اقتصادية وعسكرية، وهي أديان عدد معتنقيها قليل جدا، بالإضافة إلى أنها أديان تحاول إيجاد حلول للبشرية اعتمادا على كتب جديدة كتبها أشخاص وادعوا أنها من عند الله، أو بالاعتماد على كتب مقدسة قديمة لكن بتأويلات ومفاهيم مخالفة للمعاني الأصلية التي يؤمن بها أو يعتقد بها الحاملون لهذه الكتب وتفاسيرها وعلومها منذ زمان كتابتها أو كما ورثوها من أجدادهم.

لكن كما ذكرنا لم تجد هذه الأديان أو إن صح القول هذه المذاهب المعاصرة القبول الحسن أو الإقبال التام من الناس لعلمهم بحقيقة هذه الأديان رغم ما تتوفر فيه من مبادئ ومن رفاهية وحرية لمعتنقي هذه الديانات.

كذلك يعتمد معتنقي هذه المذاهب على العامل النفسي في التأثير على الناس وعلى العامل الاجتماعي في إظهار وحدتهم واتفاقهم وتحليهم بالأخلاق العالية والمثالية في وسط المجتمعات الأخرى للتأثير، لكن تبقى هذه المذاهب مجرد مذاهب منحصرة في مجموعة صغيرة ولا يمكن أن تكون دين حق. بل الكثير منها مجرد

مذاهب تحاول مجاراة الواقع وجمع أكبر عدد من المعتنقين لتحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية...

فمثلا شهود يهوه من الجماعات التي تحرم الحرب وتمانعها بشدة، وقد تعرض الكثير من المنتمين لهذه الجماعة للاضطهاد لعدم مشاركتهم في الحروب، مثل الحروب العالمية، حيث تم سجنهم من القوى النازية مع اليهود، وهذا العداء للحرب هو عداء يخدم مصالح الدول المحاربة والغازية بلا شك...

كذلك البهائية تؤمن بسلام عالمي وهي تبني عقائدها اعتمادا على القرآن منكرين السنة النبوية ليستطيعوا تفسيره كما يحلو لهم لنشر عقائدهم التي تخدم مصالح جهات أخرى... ويبدوا الأمر أكثر وضوحا عندما نعلم أن المركز العالمي للبهائية يقع في أرض فلسطين المحتلة تحت إمرة الكيان الصهيوني الغاصب الذي يعطي لمعتنقي هذه الديانات الجديدة كل حقوقهم وحرياتهم الدينية، وهذا المركز يحج له البهائيون كل سنة من كافة أنحاء الأرض.

ملحدين جدد من خلفيات دينية

عادة ما نتحدث في هذا السياق عن المسلمين الذين ألحدوا أو خرجوا من دين الإسلام أو بالأحرى خرجوا من دائرة الانتساب لدين الإسلام، مع العلم أنه كثيرا ما نسمع عن هؤلاء الذين كانوا في الأصل مسلمين، يعيشون في دول عربية، تركوا الإسلام وأصبحوا من أشد المعادين له، لا ينفكوا عن سب الإسلام والقاء التهم والسباب واللعان والإساءة له.

في المقابل لا نسمع عن ملحدين من خلفيات مسيحية يقومون بنفس الفعل مع الدين المسيحي إلا عدد محدود جدا مقارنة مع الذين من أصل مسلم. وهذا ما يدعونا للتساؤل والاستغراب!!!

وفي بحثنا اكتشفنا أن السبب الرئيسي هو ما ترتكبه الكنائس والإرساليات التبشيرية في الدول الإسلامية من محاولة للإبعاد المسلمين عن دينهم في الأساس، بسب هذا الدين والإفتراءات والقاء الشبهات والكذب والشراسة في التهجم على هذا الدين... بل الأغرب من ذلك، وإلى حد كتابة هذه السطور يوجد عشرات القنوات التلفازية المسيحية مختصة في سب وشتم الإسلام وتعاليمه ونقد كتبه وشرائعه وإثارة الشبهات حوله ليلا نهارا بكل ما أوتوا من قوة.

وبالرغم من ذلك لا يرتد عن الإسلام إلا العدد القليل ويعتنق المسيحية، هذا إذا لم يلحد أو لم يخرج من دائرة الإسلام والمسلمين، مع العلم أن كل هذه الحملات

الموجهة هي للدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص، هي لإبعاد الناس عن الإسلام ونزع تلك الرابطة القوية بين المسلمين ودينهم وبالتالي بين المسلم وربه.

في حين أن المسائل الدينية والعقائدية تناقش من حيث الأصول لا من حيث التعاليم والفروع... ويتم النقاش بكل حيادية ونزاهة ويكون البحث مؤسس على مصادر كل دين لا على مصادر مخالفيه في ذلك أو على ما يريد مخالفيه أن يظهروه.

لكن ما تقوم به الكنائس التبشيرية هو العكس تماما، وهو ما يشبه ما يقوم به الإعلام من تشويه، وما تقوم به الجماعات السياسية في بعض الدول والجمعيات والمنظمات من محاربة مستميتة بجميع ما أوتوا من قوة ونفوذ.

إن هذه الحرب وهذا التكتل منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا كان كفيلا بأن يجعل الإسلام مجرد فترة أو تاريخ أو تراث أو ما شابه ذلك. بل إن ما حدث لأريوس[1] وأتباعه أكبر دليل على أن هذه الحملات، لو أقيمت لمحاربة أي دين أو مذهب لقضت عليه في بضع سنين، كما الحال في القضاء على الفئة الموحدة من المسيحيين التي تزعمها هذا الأخير، فلم يبق منهم إلا تاريخهم أو بعض الفرق التي تحاول إحياء مجد أريوس وعقائده لكن دون جدوى...

لذلك فإن هذا الدين ليس مجرد دين عادي، أو مجرد دولة سياسية أو فترة تاريخية، بل إن ما قدمه هذا الدين وما يقدمه للبشرية والإنسانية جمعاء محفور في حصون التاريخ وجدرانه. وإقبال الناس عليه خاصة من الدول المتقدمة ومن الذين يملكون

---

[1] من القديسين المسيحيين الذين عاشوا في القرن الرابع ميلادي وكان يؤمن بأن المسيح نبي وليس بإله. فأمرت الكنيسة بقتله وقتل كل أتباعه لمخالفته قانون الإيمان الذي تم اقراره برعاية قسطنطين في مؤتمر نيقية في 325م الذي اتفقوا فيه على عقيدة التثليث.

معرفة وعلما، والعديد من القساوسة وعلماء من أديان أخرى أمر يدعوا للشك والحيرة وإعادة التفكير.

صمود دين، أو مذهب في وجه كل القوى العالمية ليس بالأمر الهيّن، فكيف يمكن لجماعة فقيرة مهمشة متخلفة عن باقي العالم أن تنشر دينها في كل أصقاع الأرض، في الوقت الذي تُصرف مليارات الدولارات لتشويه هذا الدين في كل ركن من أركان الأرض.

دين الشيطان

إن الكثير من المنتسبين لأديان أخرى وأخص بالذكر منها الدين المسيحي يصفون هذا الدين وما فيه من إعجاز أنه مدعوم بسلطة الشيطان، لاعتقادهم أن الحاكم الفعلي لهذا العالم هو الشيطان... لذلك سنبين تفاهة هذا الادعاء بحجج منطقية.

ما قدمه الإسلام من رقي أخلاقي وما يقدمه لا يمكن أن يكون منبعه الشر، بل إن الفكرة القائلة إن الحاكم الفعلي لهذا الكون هو الشيطان هو ادعاء باطل لما فيه من تعد وافتراء على خالق الكون وتشكيك في عدله ومحبته للبشرية... فكيف يمكن لإله رحيم أن يترك خلقه الذي يحبه بين يدي عدوه يعبث به كيفما يشاء؟ هذا لا يعقل...

وإذا استطاع هذا الشيطان الأخذ بزمام الكون فهو متصف بصفة الألوهية والمعركة الحقيقية هنا هي معركة من يتولى سيادة الكون ومن هو الإله الفائز في هذه الحرب، فمن سيكون صاحب القدرة الكاملة، الله أو الشيطان؟ وإذا اعتدل ميزان القوة هل سيعتدل ميزان الأرض والكون؟

لذلك نجد أنه طبقا لهذا التعليم الكنسي ظهرت فرقة تعبد الشيطان الذي هزم الإله حسب زعمهم، وهم يقدمون القرابين متمثلة في الدم والقتل وكل أنواع الشر والبشاعة لإرضاء هذا الشيطان الذي يعبدونه، فهذا مثال بسيط مما يمكن أن ينتج

عنه الاعتقاد الفاسد والتأويل الخاطئ والتحريف للدين والنصوص الحقة من الله الواحد الأحد الخالق الصمد الذي لا ند له ولا ولد.

كذلك إذا كان هذا الدين هو دين مدعوم من الشيطان والحاكم الفعلي لهذا العالم وهو الشيطان فلماذا كل العالم يحارب هذا الدين حربا هوجاء لا هوادة فيها، بل كل العالم يحارب بكل ما أوتي من وسائل وقوة؟؟ ألا يدعوا هذا للتفكر وإعادة النظر؟

إن الحقيقة أن الشيطان اليوم متمكن من النفوس والعقول وأن معظم البشر يتبعون خطواته دون أي تثبت أو اعمال للعقل السليم والبحث القويم المؤسس على حقائق، لا كما يصوره البعض بتلك الصورة المادية التي تسببت فيها كما ذكرنا سابقا الفلسفة المادية والإيمان بالمحسوسات.

نتيجة البحث

الجرائم الدينية

كانت الأديان قديما مصدرا للسلطة واستعباد الناس باسم الله، فقد استغل الكهنة قديما الدين لأغراضهم الشخصية، لا لدعوة الناس وإرشادهم. فمثلا كان الكاهن في اليهودية هو الذي يغفر الخطايا، ولم يكن لليهودية أثر في الأرض سوى القتل والسفك لكل معاد لبني إسرائيل بأشد الطرق وحشية، وكل هذا باسم الرب.

وفي الديانة المسيحية كذلك، البابا في الكاثوليكية هو الذي يعترف أمامه المذنب بذنبه وهو الذي يغفر، وعند الأرثوذوكس القديس يشفع للمؤمنين... أي دائما هناك وساطة بين الله والعبد.

أما الفرق الحديثة كالبروتستانت حاولوا الغاء هذه الوساطة لكنهم جعلوا يسوع هو الشفيع والوسيط ولم يخرجوا من نفق التثليث وإثبات الألوهية للمسيح، وهذه المتاهة الغير مفهومة، وهي متاهة الإله المتمثل في ثلاث أقانيم، كما يعتقد غيرهم من الكاثوليك والبروتستانت، ولكن الاختلاف كما تم ذكره من قبل في طبيعة المسيح نفسه، ولا يوجد نص قطعي في الكتاب المقدس يثبت هذه العقيدة بل هي نتيجة قانون الإيمان الذي بدأ إقراره في مؤتمر نيقية 325م.

على مرّ الأزمنة استغل كل رؤساء الدين نفوذهم، وادعوا أن لهم السلطة المطلقة من الله أو التفويض من الله، فقاموا بجرائم شنيعة، إما في حق متبعيهم أو في حق مخالفيهم، وذلك يتضح فيما ارتكبته الكنيسة الكاثوليكية عن طريق محاكم

التفتيش، أو ما حدث من البروتستانت من قتل في الشوارع والساحات العامة في الثورة الفرنسية، أو جرائم الإبادة التي ارتكبوها بأمر ملكة بريطانيا، والجرائم عديدة ولا تحصى والتاريخ خير شاهد، بل دواميس الموتى في باريس والكنائس التي بنيت بجماجم وعظام الموتى خير شاهد في العصر الحاضر.

ومازالت الجرائم متتالية، كما يحدث في افريقيا الوسطى، وأيرلندا، واغتيال الدعاة المسلمين في الفلبين وجنوب افريقيا وفي كل الأرض، وما حدث في السنوات الماضية في إقليم دارفور، والحرب على العراق، وما قام به الفرنسيون من هدم للمساجد وتحويلهم لكنائس وإبادة للمسلمين بقطع الرؤوس وتنكيل وتعذيب تماما كما تفعل الجماعات الإرهابية اليوم، لنعرف ونتيقن، من هؤلاء، ومن يموّلهم، ومن يدربهم، ومن دسّهم في صفوف المسلمين وجعلهم واجهة لهذا الدين العظيم الذي أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ثورة الإسلام

جاء الإسلام ناسخا لكل دين قبله، فالدين عند الله هو الإسلام، بل إن الأديان كلها دين الإسلام، وكلها بشّرت بالنبي الخاتم المتمم الباقي مدى الدهر بسنته وبدينه الذي كلفه وشرفه به رب العزة، فهو الدين الذي لم يفرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى، ولم يفرق بين أمير وفقير، وبين عبد وسيد.

لذلك هذا الدين هو الأكثر محاربة ومقاومة من كل الناس، بل هو محارب من وحوش بشرية تستعبد الناس وتمتلك السلطة السياسية والمالية، يحاربون الإسلام كما حاربته قريش في الجاهلية، خوفا على جاههم وسلطتهم ومصالحهم.

فالإسلام لا يعرف جاها ولا سلطة، بل إن الضعيف فيه أقوى من القوي لما له من حق عنده يستوجب الأداء، من مال وعطف وحماية، فلا حُجب ولا ستائر ولا حرّاس بين الأمير والفقير، كما نرى اليوم في أغلب الدول، الرئيس المسلم يحضر درس العلم في المسجد ويجلس كسائر الناس على الأرض، ويسير في الشارع دون حراسة، فهو فرد مثله مثل بقية الناس.

ولا وجود لثراء فاحش وتبذير وإسراف للمال دون جدوى، بل صاحب المال يجب عليه أن يساعد المحتاج، لا بالمنة والعطف، بل إن في مال الغني حق للفقير، فالمال مال الله أعطاه للغني من باب الامتحان، ويجب على هذا الغني أن يعطي حق هذا الفقير، ويطلب منه أن يأخذ حقه الذي أمر به الله، فهو لا يقوم بعمل

يستوجب الشكر بل هو واجب عليه ويجب عليه أن يشكر ذلك الفقير الذي رضي بأخذ هذا المال ورفع الإثم والسّخط عن هذا الغني.

لا وجود لسلطة دينية في الإسلام، فلا غافر للذنب إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا الله، لذلك فإن الشيخ أو الإمام هو عالم بالدين ومفتي للناس بدليل شرعي لا باجتهاد شخصي. وحتى مفهوم الاجتهاد في الإسلام هو اجتهاد استنباط الأحكام عن طريق التوفيق بين النصوص، طبقا لمقاصد الشريعة.

باتباع شريعة الإسلام، استطاعت مجموعة صغيرة، مجرد قبائل تعيش في جاهلية عمياء، على وشك الفناء من الحروب الطاحنة التي بينهم، أن تصبح امبراطورية عظيمة في وقت قياسي، امبراطورية تشغل مساحتها جزء من ثلاث قارات، جزء من آسيا وجزء من افريقيا وجزء من أوروبا، وتوسعت شيئا فشيئا، حتى وصل إلى الأمريكيتين قبل الرحلات التبشيرية التي قام بها كريستوف كولومب.

وقد يتعجب القارئ، فكولومب لم يكن القصد من رحلته الاستكشاف بل كان القصد منها التبشير، فالأمريكيتين في ذلك الوقت مكتشفة وانتشر فيها الإسلام، لذلك أخذ معه مترجم عربي، ووجدوا مساجد وأسماء عربية، وكتب التاريخ والجغرافيا الإسلامية تصف الأمريكيتين خير وصف وتتحدث عن نشر الإسلام فيهم، بل مازالت خرائط لجغرافيين مسلمين من قبل أن يولد كولومب، تظهر فيها الأمريكيتين، كما توجد بعض المصادر التي تتحدث عن إمارة إسلامية، مع ذكر شخصيات حقيقية حكمت تلك الإمارة مع شواهد وصور ودلائل تاريخية[1].

---

[1] قال المؤرخ الإدريسي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" المكتوب سنة 956م، أن أحد المغامرين ويدعى "الخشخاش" أبحر في رحلة مع أصحابه في طريق بحر اسمه بحر الظلمات سنة 889م، وجد فيها غنائم ومعادن غالية، فكانت هي الأميركتين.

ساهم الإسلام بطريقة غير مباشرة في ثورة ما يسمى فلاسفة التنوير على الكنيسة الظالمة، وعلى رجال الدين الانتهازيين. وبعد اختلاطهم بالمسلمين اكتشفوا ضلالة كهانهم، وعدل إسلامنا، بل عظمة هذا الدين، الذي ينتشر كانتشار النار في الهشيم، بالرغم من محاربة كل العالم له وتشويه صورته، بل هذه الحملات تشبه ذلك الذي يحاول إطفاء النار بالبنزين.

بزيارتهم لبلاد الإسلام وملاحظتهم للعدل القائم، عرفوا أن كل ما يُوهم به الكهان، من أنهم المفوضين من الله، ليس إلا دعاوى كاذبة، وإن الثورة عليهم لن تؤدي لغضب الرب أو إحراقهم أحياء أو الحاق العذاب بهم.

إن صمود الإسلام أمام هذه الهجمات دليل قطعي على عصمته من كل ما ينسب إليه من كذب وتشويه، فلو كان الإسلام دين إرهاب كما يدعون، ودين جهل وتخلف كما يصورن، لما وجدت أقدم كنائس المسيحيين في الدول الإسلامية، ولما وجد أقدم المعابد اليهودية في البلاد الإسلامية كذلك. بل لن تجد فوق سطح هذه الأرض سوى المسلمين، فهم حكموا العالم وكان بأيديهم السلطة والقوة والمال... ولم يكن من الصعب عليهم اجبار الناس بالقوة لدخول الإسلام. بل كان على غير المسلمين من متبعي الديانات السماوية دفع الجزية وليس القتل كما يحاول أعداء الإسلام اقناع أنفسهم وفرض هذه الفكرة على غيرهم من السذج الذين يصدقون بكل غباء.

وهذه الجزية ما هي إلا ضريبة بخسة، تدفع مقابل الأمان، ويعفى منها الفقير والشيخ والمرأة والطفل، ويعفى منها كل صحيح يلتحق بالجيش، فهي تعدل زكاة المال التي يدفعها المسلم.

كذلك لو كان الإسلام دين تخلف لما تطورت العلوم والتكنولوجيا، فجهاز الكمبيوتر والأجهزة الالكترونية يعود الفضل في اختراعها للخوارزمي، الذي وضع حجر الأساس بما يسمى "اللوغاريتم-Algorithme" او ما يسمى "نظام الحلول الحسابية"، ولولا ابن الهيثم لما كان للكاميرا وجود، ولولا عباس بن فرناس لما كان للطائرة وجود، ولولا الجزري لما كان للساعة وجود، وما كان للسيارة وجود فهو مخترع النظام الميكانيكي للمحركات التي تعمل بها السيارات اليوم. ولو كان الإسلام دين شياطين لما أسلمت الهند بأخلاق التجار المسلمين، ولما أسلمت آلاف العائلات في العالم بمجرد معاشرتهم للمسلمين والعائلات المسلمة، ولما كان للأخلاق والأدب الأولوية والأسبقية على العلم في الإسلام.

ختام البحث

هذا البحث هو بحث مختصر جدا يمكنك اعتباره مقدمة تمهيدية لمن يرغب في البحث بمنهجية علمية مؤسسة على حقائق يقينية لا على شبهات وهمية.

البحث العلمي هو بحث في الأصول لا في الفروع. أي البحث في أصول الأديان وأصول العقائد لا البحث في تعاليمها. قد تكون التعاليم مخالفة لما نحب ونرضى، لكن الدين في أصله بيّن وواضح أنه دين الحق، فالإنسان مهما بلغ بعلمه لن يبلغ علم الله وحكمته.

لكن الله ميز الإنسان بالعقل ليعقل به ويستخدمه، وللعقل ضوابط يستقي بها العلوم والمعارف، لذلك كان ولا بد من البحث في أصول هذه الأديان، ومن أين أتت كُتبها ومن حفظها لنا، وهل بقيت على حالها، وهل حفظت على مرّ الزمان، وهل تحمل في طياتها معجزات يعجز البشر عن الإتيان بها، وهل قدمت للبشرية خيرا أم شرا، تقدما علميا أو تخلفا في تعليمها الحقيقي وما أنتجته لنا من تعليم...

كل هذا محل بحث ونظر، ولكن بنظرة حيادية وبالاستماع لكل الأطياف من مؤيد ومخالف، والنظر في الأدلة التي يطرحها المؤيد والتي يطرحها المخالف، فعادة ما يكون المخالفين حاقدين لا دليل عندهم سوى الكره والبغض.

إذا بحثت بنزاهة وبمنهج علمي سليم، وركزت جهدك وبحثك حول الأصول، وكنت صادقا لمعرفة الحق لا متحيزا لرأي تحاول اثباته، ستجد الحق بينا. لكن إن اتبعت الشبهات والافتراءات وسمعت من المخالفين للدين ستجد نفسك ضائعا بعيدا عن طريق الحق والرّشاد.

إذا اتبعت هذا المسلك السليم في البحث ستجد أن الإسلام هو الدين الوحيد الموافق للعقل والمنطق، وهو الدين الوحيد الذي قدّم للبشرية ما لم يقدمه أي دين آخر من تطور في العلوم والأخلاق أيضا، وستجد يقينا أن الإسلام دين عظيم، أعظم من كل من حاول تشويهه، والدليل أن كل من بحث في هذا الدين بنزاهة من دكاترة ومثقفين منصفين عموما، ومن العالم المتقدم خصوصا، اعتنق الإسلام وآمن به. بل كتبوا الكتب والمؤلفات وألقوا المحاضرات مبينين صورة الإسلام وعظمته.

كل من سب الإسلام مات، ونُسي، ولم يعد لهم ذكر، بل البعض القليل منهم يُذكر أحيانا من فِآت معينة في إطار ضيق جدا...

كلهم ماتوا والإسلام في بقاء وانتشار مستمر.

تم بحمد الله في شهر أفريل - أبريل لسنة 2017 بصفاقس - تونس